راهن الخطاب المسجدي ووسائل ترقيته

د. فهيمة بن عثمان
fahimabenathmane28@gmail.com
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

الملخص:

يعد المسجد مؤسسة دينية هامة في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي، و حتى بالنسبة للمسلمين خارج الدول الإسلامية، ذلك أنه يحقق الاتصال المباشر الذي يعتبر من أكثر أنواع الاتصال تأثيرا عند أهل الإعلام و الاتصال، و هو يقدم رسائل متنوعة الأبعاد الروحية والنفسية و الاجتماعية و الأخلاقية و الثقافية

و تعتبر عملية إعداد الخطاب المسجدي من أصعب العمليات التي يقوم بها الخطباء لتباين الجمهور الذي يخاطبونه في العمر حيث نجد فيه الشباب و الأطفال و الكهول و الشيوخ و النساء، فهو متباين من ناحية السن و المستوى الثقافي و العلمي و الاجتماعي و الاقتصادي و الروحي و النفسي.

و قد توصلت الدراسات الأكاديمية و مؤلفات العلماء التي تناولت موضوع المسجد و الخطاب المقدم فيه إلى ضعف و تراجع الدور الذي يقوم به المسجد في حياة الإنسان المسلم، و توصلت كذلك إلى ضعف الخطاب المنطلق منه رغم أهمية هذا الخطاب في الدعوة و التذكير المستمر بمبادئ الإسلام و قيمه.

و يبقى العلماء و الباحثون يتدارسون هذا الخطاب بحثا عن الطرق الناجعة لإعادة تفعيل دور المسجد و الخطاب المنطلق منه، و من هذه الإجراءات الضرورية التي أكد العلماء و الباحثون أهميتها ما سيرد في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية : راهن. الخطاب . المسجدي الترقية

Résumé

Le discours de la mosquée, comme lieu de culte incarnant la dimension religieuse, se distingue par des attributs qui lui sont inhérents : primo celui de guide et secundo l'appel visant à rappeler et à prêcher la foi musulmane, les valeurs, les croyances et les pratiques, en étroite relation avec la vie du musulman et son double rapport avec son créateur, sa famille, son travail, ses échanges économiques.

Comme étant ainsi le public de ce lieu de culte est un des plus difficile, car il se caractérise essentiellement par la variété sur plusieurs dimensions : la différence des âges, les niveaux scolaire et économique, la foi…En tenant compte de cela le prédicateur (imam) doit avoir une compétence à la fois de la culture islamique et des instruments de transmission : langue, bon choix des thèmes, rénovation des approches et des modes de traitement, la capacité de contenir et de persuader ce public.

La présente étude interroge la réalité du discours produit dans ces lieux de culte (mosquée), dans lequel discours, marqué et par la fragilité aussi bien de l'orateur que celui du discours lui-même, s'est installé un rapport de distance d'une part de la vie des fidèles, et d'autres part du côté des fidèles eux-mêmes. La connaissance de ces dimensions nous ouvre la voie à la recherche d'autres moyens pour réactiver le rôle des mosquées en réactivant le discours produit dans ces lieux.

Pour atteindre ces objectifs scientifique l'étude a mobilisé un ensemble d'instruments de collectes de données : l'observation , le questionnaire, l'entretien ; et de méthodes : l'analyse de contenu pour traiter les données.

Les résultats atteints par la recherche établissent :

- la nécessité de la bonne formation continue et permanente des prédicateurs (imams) en leur munissant aussi bien les savoirs que les instruments et les outils qui ouvrent la voie à une communication juste et efficace du message divin.
- L'obligation de combler ou de supprimer le déficit patent au niveau des orateurs religieux habilités pour accomplir la mission religieuse.
- La substitution de l'anarchie de l'action de cette institution religieuse par la planification et la poursuite de voies qui insufflent un renouveau aux fins et aux moyens et les mécanismes d'une critique et d'une évaluation.

توصلت الدراسات الأكاديمية و مؤلفات العلماء و الدارسين إلى ضعف الخطاب المقدم في المساجد و قلة تأثيره وفاعليته، مما يستدعي اتخاذ كثير من الإجراءات من شأنها رفع و تحسين مستوى الخطاب المسجدي أهمها:

وضع معايير دقيقة للإطار الديني، و إعادة النظر في نمط التكوين الذي يتلقاه الخطباء، كما يتوجب العناية بالتكوين المستمر للخطباء، و المداومة على التدريب الدائم و تطوير النفس و تحسين الجوانب العلمية.

ولا بد من الاعتناء الجيد بالتحضير، ووضع برامج للخطاب ، و التقويم الدائم لما يقدم من أجل الحفاظ على المكتسبات و المنجزات و تصحيح الأخطاء، كما لابد من اهتمام الخطباء بمعرفة نوعية المخاطبين.

و للنهوض بالخطاب كذلك لابد من القضاء على العجز المسجل في الإطارات التي تقدم الخطاب، لأن أغلبها لم يكوّنوا في الأساس لتقديم الخطاب بل لأداء مهام أخرى كالصلاة بالناس الصلوات الخمس و لتعليم القرآن الكريم...الخ

أولا:أسباب ضعف الخطاب المسجدي:

1- الاهتمام بزخرفة المساجد على حساب نشاطها:

كان المسجد بسيطا في بداية الإسلام ولكنه كان يعج بالحركة والنشاط، وكان خطابه كله حركة وحياة وتأثير، أما المسجد في العصر الحديث فصار بناء يركز فيه على الزخرفة والمظاهر المادية، ومع أن المرافق التي أضيفت له ضرورية إلا أنه لا يجب الاهتمام بالمظاهر المادية للمساجد على حساب روحها المتمثل في نشاطها وحركيتها وفعالية خطابها، وسعيها الدائم لتكون حاضرة في حياة كل مسلم بقوة، فقيمة أي مؤسسة ليس في مظهرها المادي وحسب، بل فيما تقدمه من نشاطات متنوعة ومكثفة لجمهورها.

2- إسناد أمر الخطاب المسجدي إلى من لم يكونوا له:

القيام بمهمة الخطاب المسجدي ليست سهلة، إنها مهمة صعبة لعظم الرسالة المطلوبة منهم وتنوعها، ولطبيعة الجمهور المسجدي الذي له مميزات خاصة، كل ذلك يدفع إلى إسناد أمر الخطاب إلى المؤهلين لذلك علميا وأخلاقيا، والذين تم إعدادهم أساسا للقيام بهذه المهمة، وهو الإمام الأستاذ أو الإمام المدرس حسب التنظيم الذي تسير عليه وزارة الشؤون الدينية، أو الإطارات الجامعية خاصة المتخصصة في العلوم الإسلامية التي تتطوع للقيام بهذه تقديم الخطاب بالمساجد التي لا يوجد فيها إمام مؤهل لمهمة الخطابة.

لكن حسب الاستطلاعات الميدانية والدراسات الأكاديمية فإن أغلب المساجد يؤطرها أئمة لم يكونوا لهذه المهمة ، فهم إما أئمة للصلوات الخمس، أو معلمي القرآن الكريم، وأحيانا مؤذنون أو قيمون، وهؤلاء جميعا لم يعدوا لتقديم الخطاب المسجدي، بل للقيام بمهام أخرى غير الخطاب، وحتى باعهم من علوم الشريعة قليل فضلا عن طرق الخطابة، وطرق الإقناع والتأثير، وفهم تركيبة الجماهير ... الخ.

إن إسناد أمر الخطاب المسجدي لغير المكونين لإعداده وتقديمه ساهم كثيرا في ضعفه، وقلة تأثيره وابتعاده عن اهتمامات الجماهير، حتى صار المسجد في كثير من الأماكن "جسدا لا روح له، وأثرا لا تأثير له".[1]

3- قلة إدراك كثير من الخطباء قيمة المسجد كوسيلة اتصال دعوية هامة:

تتزايد المنابر الإسلامية باستمرار في العالم الإسلامي، ولكنها في أغلب الأحيان لا تستثمر الاستثمار الأوسع في الإعلام بمبادئ الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا ... الخ، لأن كثيرا ممن يتحدثون من خلال هذه المنابر (على تقديرنا واحترامنا لهم) لا يدركون الإدراك التام لأهمية الاتصال الذي تتيحه، فهو اتصال مباشر، والاتصال المباشر من أنجح أنواع الاتصال لأنه يتيح فرصة ملاحظة المخاطبين، فيؤثر فيهم بكل حركة، وبنبرات الصوت، وبالمشاعر الصادقة، فالاتصال عن طريق المسجد يتيح فرصة هامة للخطيب للدعاية والإعلام لأنه وسيلة اتصال هامة يومية وأسبوعية وسنوية، تتيح فرصة اللقاء بالجماهير، بل يفرض عليهم الذهاب إلى المسجد، ولكن غلبة العمل الروتيني على كثير من الخطباء يجعلهم أن إعداد الخطابات المسجدية هي أمر سهل وتعودوا عليه فيستهينون بالتحضير ويؤدون عملهم بروتين، ويتغافلون على السعي للتأثير في أفكار وسلوك الجماهير، بل يؤدوا عملهم ويفقدوا مع الوقت الحركة الدائمة والنشاط فيؤدون خطابهم ولا يهتموا بمدى تأثيره، المهم أن يقدموا خطابهم لأنه واجب في إطار عملهم وانتهى فلا يهتمون بعامل الإقناع والاستمالة رغم أنهما عنصران أساسيان في الخطاب.

4- غياب التخطيط للخطاب المسجدي:

التخطيط يعني: "تعبئة وتنسيق وتوجيه الموارد والطاقات والقوى البشرية والمعنوية والمادية والمالية المتاحة للمجتمع حاضرا ومستقبلا لتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية وثقافية متفق عليها، مترابطة ومحددة ومرسومة في إطار سياسي ارتضاه

المجتمع في فترة زمنية محددة".[2] وهو كذلك "تجميع المعلومات وافتراض توقعات في المستقبل من أجل صياغة النشاطات اللازمة لتحقيق أهداف المؤسسة، وهو يضمن ارتباط النشاطات بالأهداف، وذلك بتوجيه الجهود نحو الوصول إلى النتائج المرجوة".[3]

التخطيط العلمي للخطاب المسجدي يعني فهم الواقع الذي يقدم فيه الخطاب فهما موضوعيا وشاملا، يليه رسم الأهداف والغايات المرجوة من الخطاب المسجدي على مستوى عالم الأفكار والسلوكات، ثم تحديد الطرق والوسائل والأساليب للتوصل إلى تحقيق هذه الأهداف.

إن الملاحظ أن أغلب القائمين بالخطاب المسجدي يؤدون عملهم بعشوائية وبساطة وسذاجة في بعض الأحيان ، وارتجال، فنادرا ما نجد من هؤلاء من يرسم غايات وأهداف محددة سنوية وشهرية وأسبوعية، ونادرا ما نجد من يتعب نفسه في التفكير في أنجح الوسائل والأساليب التي تؤثر في الجمهور فتجعله يتقبل الرسائل بشوق ويعمل على تطبيقها والعيش بها.

إن الغالبية من القائمين بالخطاب المسجدي ليست لديهم أهداف كبرى يسعون لتحقيقها من خلال خطابهم، بل تفكيرهم تجزيئي حيث يقدمون دروسهم وخطبهم الأسبوعية بأهداف آنية، ومنهم من لا يكلف نفسه عناء التحضير والتفكير أصلا، بل يصعد المنبر مرتجلا ويلقي كل ما تذكره من أوامر ونواهي وقصص ... الخ.

إن إغفال أمر التخطيط خطأ كبير يقع فيه القائمون على أمر الدعوة الإسلامية أينما كانوا، ولا بد من تعويد الأئمة على التخطيط ورسم الغايات والأهداف منذ مرحلة تكوينهم، لأن الدعوة بناء يبدأ ببناء العقيدة والأفكار كي تنعكس في السلوكات والتصرفات.

5- ضعف التكوين:

التكوين الذي يتلقاه القائمون بالخطاب المسجدي يحتوي كثير من الثغرات، سواء في اختيار الإطار الذي يتم تكوينه، أو في مدة التكوين القصيرة، وكذا البرامج والمناهج التي تغيب عنها مواد هامة تمد الإطار الديني بالمهارات الأدائية كعلم النفس وعلم الاجتماع، وطرق التأثير والإقناع، وأساليب الدعوة ... الخ، وهو كذلك لا يمد الإطار بالمعارف الشرعية الضرورية نظرا لقصر مدة التكوين.

وكذلك التكوين الذي يتلقاه الأئمة الأساتذة بالمؤسسات الجامعية الإسلامية تغيب عنه المواد التي تمد الإطار بالمهارات وحتى بعض المواد الشرعية التي يهملها تخصص ويهتم بها تخصص آخر، لذا لا بد من إخضاع خريجي العلوم الإسلامية لتربص قصير المدى يتم فيه تدارك الثغرات في المعارف والمهارات أو العلوم المساعدة.[4]

التكوين الذي يتلقاه القائمون بالخطاب في مراكز تكوينهم أنتج إطارات ضعيفة سواء في معارفها أو في مهاراتها الخطابية مما قلل من مستوى تأثيرها في جمهورها.

6- قلة اجتهاد الخطباء لمعرفة جمهورهم:

يسجل على كثير من القائمين بالخطاب المسجدي الرتابة والنمطية وعدم تكليف النفس عناء البحث والاجتهاد لفهم طبيعة وتركيبة الجمهور المخاطب، ونوعية احتياجاته، وما يؤثر فيه أو يوجهه، وأغلب القائمين بالخطاب لا يعدّلون رسائلهم وفقا لنوعية جمهورهم، بل يقدمون خطابهم وفق ما امتلكوه منذ زمن تكوينهم من معارف ومهارات بسيطة تجاوزها الزمن في أغلب الأحيان.

على القائمين بالخطاب المسجدي فهم المكان الذي يقدم فيه الخطاب، وفهم عميق لحيثياته، فليس كل خطاب يصلح لكل مكان، فلكل مكان خصوصياته وقضاياه وظروفه ومشاكله، فالخطاب في القرية غيره في المدينة، والخطاب في بلد عربي

غيره في بلد أجنبي، والخطاب في بلد أحادي الطائفة أو المذهب أو الفكر غيره في بلد تعددي، وفقه الأقلية غير فقه الأكثرية، والخطاب المحلي غير الخطاب العالمي.[5]

ولا بد كذلك من قراءة ظروف الجمهور، والأحداث التي تجري حوله، والقضايا التي تهمهم والمشكلات التي يعانون منها. [6]

ويجب قراءة الزمان الذي تخاطب فيه الجمهور، فما يصلح لهذا الزمن قد لا يصلح لزمان آخر، فالزمان من حيث آلياته ووسائله يتطور، وهو من حيث قضاياه في تبدل دائم وثبات الخطاب يعني التخلف عن ركب الزمان، فخطاب أول القرن غير وسطه أو آخره، بل قد يختلف الخطاب بين يوم ويوم.[7]

7- قلة فعالية التكوين المستمر:

يفترض بالتكوين المستمر أن يحرك ويبعث في الأئمة الرغبة في امتلاك العلم الغزير، وتطوير النفس بامتلاك مهارات أدائية جديدة في التأثير والإقناع وأساليب الدعوة، لكن حاله غير ذلك فهو أيضا روتيني يقدمه أئمة أساتذة يشعر القائمون بالخطاب أنهم يشاركونهم نفس المهارات والمعارف وهم لا يستفيدون منهم كثيرا، لذا لا بد من تطوير أساليب التكوين المستمر بدعوة العلماء والدكاترة للإشراف عليه في بعض الأحيان وتنويع وسائله بجعله على شكل حوار في بعض الأحيان، وعرض لأشرطة الفيديو، و ملتقيات وطنية و أيام دراسية ... الخ.

8- غياب المراجعة والتقويم:

يقدم القائمون بالخطاب المسجدي خطابهم وأغلبهم تنتهي مهمتهم عند تقويم الخطاب، فلا يجعلون لأنفسهم محطات يراجعون فيها ما قدموا، وماذا حقق الخطاب الذي قدموه، ومتى أثروا في الجمهور؟ ومتى لم يؤثروا؟ هل من ثمرات تحققت؟ ما هي نقاط القوة؟ وما هي نقاط الضعف في دروسهم وخطبهم؟ هل المنهجية التي

يقدمون بها خطابهم منهجية صحيحة وتؤدي إلى تحقيق الأهداف المرجوة من الخطاب؟ هل محتوى الخطاب ومضمونه جذاب ومؤثر في الجمهور؟.

إن نقد الخطاب وتقويمه من حيث الصواب لا يكون من اختصاص القائمين بالخطاب فقط، بل تستطيع القيام به هيئات أخرى كوزارة الشؤون الدينية ومديرياتها، والباحثون الأكاديميون، وفرق البحث، والعلماء ... الخ.

إن المحطات التقويمية ضرورية لمعرفة نقاط القوة ونقاط الضعف في الخطاب فيتم تجاوزها، ووسائل الإعلام المعاصرة تولي هذه العملية أهمية كبيرة في اصطلاح برامجها وتعديل خطاباتها لتكون أكثر تأثيرا وجاذبية، فلماذا يهمل الأئمة جانب المراجعة والتقويم لما يقدمونه وهم يقومون بالاتصال بالجماهير ليعلموها بأقدس الرسائل وهي تعاليم الإسلامي، وتقويم رسائلهم يمكنهم من معرفة "مواطن القصور في خطابهم لتحديد طبيعة التدخل الملائم".[8]

لكن مشكلة الخطاب المسجدي أن القائمين عليه يقدمون رسائلهم ولا يعودون إليها أبدا، وكأن مهمتهم تنتهي بتقديم الخطاب.

9- قلة المطالعة والتهاون في تطوير المهارات الشخصية:

أغلب القائمين بالخطاب المسجدي لا يكلفون أنفسهم عناء القراءة والمطالعة والبحث بوسائل الاتصال العصرية كالانترنت، فهم قانعون بمعلوماتهم القديمة التي عرفوها وتحصلوا عليها منذ أيام تكوينهم، أو منذ زمن بعيد، وهم لا يملون من اجترارها وتكرارها للجمهور المسجدي الذي يبحث عن القراءة الجديدة والعصرية للأحداث وللقرآن الكريم والسيرة النبوية، وهذا هو التجديد، فالنصوص القرآنية والحديثية نصوص ثابتة ولكن فهم البشر لهذين المصدرين تتجدد وتتغير وتتطور وفقا لتطور العلم والتكنولوجيا.

10- قلة المتابعة لآثار الخطاب ومنجزاته:

لقد سبق الإشارة إلى أن القائمين بالخطاب المسجدي قلما يلجئون إلى تقويم مسيرتهم وما استطاعوا تحقيقه وإنجازه من خلال خطابهم، ليثمنوا الإيجابيات ويسعون للحفاظ عليها، ويعملوا على تفادي الأخطاء والثغرات، وتلك مشكلة كبيرة يعاني منها الخطاب المسجدي حين يتجاهل القائمون به مسألة المحافظة على ثمرات خطابهم، والأصل أنهم يخاطبون جمهورهم ليؤثروا فيهم ويقنعوهم ويحملونهم على تطبيق ما يسمعون في سلوكاتهم الاجتماعية.[9]

والخطاب المسجدي يسعى لإحداث تغيير إيجابي في حياة المدعوين، وانتظار حدوث الثمرات من الخطاب من أهم المراحل الأساسية في العمل التغييري.[10]

وإن لم يسع القائمون بالخطاب المسجدي إلى المحافظة على ثمرات خطابهم وثمرات جهودهم فسيكون عملهم مجرد تعب وجهد ضائع.

11-غياب منطق الأولويات:

الخطاب الإسلامي في بعض الأحيان لا يلحظ منطق الأهميات وميزان الأولويات، فيفقد أثره في حياة الناس لعدم ملامسته نبضهم وأولوياتهم، فهناك قضايا كبرى للأمة في أمس الحاجة إلى معالجتها فلا يجوز التهاون بها والانشغال عنها بقضايا فقهية جزئية.[11]

- **الخطاب التيئيسي**: من الخطباء من يقابل جمهورا بخطاب يبعث على اليأس والفشل، فكم سمعنا من الخطباء من يسعى جاهدا للتدليل على ظهور الفساد وانتشار المنكرات ...الخ، عوض أن يقدموا خطابا حركيا يدعو للأمل والعمل والنشاط والتفاؤل، لأن الخطاب الإيجابي يدفع للتقدم والنشاط والحركة، أما الخطاب السلبي فيجعل الجماهير تفقد الأمل وتركن للكسل واليأس...الخ.

– من الأخطاء الواقعة في الخطاب المسجدي أن هناك خطباء يقدمون خطابهم دون أن تصاحبه الرغبة في التأثير.

– هناك من الخطباء من يهتم بطريقة الأداء وبالصوت على حساب الرغبة العميقة في تقديم خطاب فعال ومفيد للجمهور المسجدي.

– هناك من الخطباء من يستهين ويستخف بالجمهور والخطب فيصعد إلى المنبر دون تحضر ويأتي بحديث من هنا وآية من هناك ويقول كلما تذكر من مواعظ ويرى أنه قدم خطبة؟!

سبل ترقية الخطاب المسجدي

1 – وضع معايير دقيقة لاختيار القائمين بالخطاب المسجدي:

ميزة القائم بالخطاب المسجدي أن له رسالة مقدسة هي توجيه الجماهير نحو خالقها عقديا وفكريا وسلوكيا، ولن يأخذ الناس دينهم إلا عمن توسموا فيه الميل الديني والخلقي والسلوكي والعلمي، أي أن يكون بمثابة القدوة في كل مجالات الحياة العقدية والفكرية والسلوكية... الخ، فهو مربي وأب روحي للجماهير، لذا لا بد من وضع معايير مضبوطة وشروط دقيقة وشاملة يجب مراعاتها عند اختيار أو قبول كل من يتقدم لرسالة الإمامة، على أن تشمل الشروط و المعايير حفظ القرآن الكريم، والاستقامة الخلقية والسلامة النفسية من العقد والأمراض، كما تولي اهتماما كبيرا للمستوى العلمي والفكري والقدرات العقلية ، وكذا الجانب الخلقي والسلوكي للإمام، إضافة إلى سلامة الأعضاء والحواس.

فالخطباء يجب أن يكونوا على قدر من الاستقامة وحسن الأخلاق حتى يكونوا قدوة للدارسين ولجماهيرهم،[12] وقد قال محمد الغزالي رحمه الله: "فالدين أحق أن يشتغل فيه رجال لهم صفاء الملأ الأعلى".[13]

وحتى لا يعرض الناس عن الإسلام وعن المسجد بسبب القائمين عليه ، وكم يحدث ذلك في كثير من المساجد، حين يعرض الناس عن المسجد وعن الخطاب المقدم فيه بسبب تصرفات الخطيب وغلظته وسوء أدبه وأخلاقه، أو انحرافه في بعض الأحيان، والجرائد تطالعنا كل يوم بانحرافات أخلاقية خطيرة يقع فيها الخطباء فلا تكون المصيبة عليهم فقط، بل على المساجد ورسالتها، وهم يمثلون قدسية المسجد وقدسية الرسالة التي يقومون بها، لذلك لا بد من:

–حسن اختيار الإطارات الدينية التي ستقوم برسالة الإمامة.[14]

– القيام ببناء مقاييس واختبارات يعتمد عليها في اختيار الأئمة كمقاييس القدرات والاستعدادات الضرورية والاتجاهات نحو هذه المهمة.

– توافر الميل والاستعداد الشخصي والرغبة التامة عند هؤلاء الأشخاص لتحمل أمانة التبليغ.

– يجب التركيز على الجوانب السلوكية والأخلاقية والاستقامة عبر الطريق السوي، حتى يكون الإمام الخطيب قدوة لمن يراه ويسمعه ويحتك به، وأن يركز على تصحيح الباطن كما يحرص على ذلك في الظاهر.[15]

– ينبغي أن يكون اختيار هؤلاء الأشخاص بعد اختبار شخصي يصل حتى إلى أهلهم وفضلهم، ليتم بعد ذلك إعدادهم على مراحل متعددة، فهم لا يقلون خطرا عن تخريج ضباط الشرطة والبحرية والطيران والجيش و الأطباء... الخ، أو فرق المبشرين الذين تتوفر لهم كل السبل والمساعدات التي تعمل على إنجاحهم في تأدية رسالتهم وإن كانت باطلة.[16]

2 – ضرورة إعادة النظر في نمط التكوين:

يتلقى الأئمة تكوينا قبل الالتحاق بمراكز عملهم كل حسب تخصصه، فالإمام المدرس يتكون مدة سنتين و الإمام المعلم ثلاث سنوات و الإمام الأستاذ يتخرج من

الجامعة، و التكوين الذي يتلقونه في مراكز تكوينهم هو "تنمية منظمة و تحسين للاتجاهات و المعرفة و المهارات و نماذج السلوكات المتطلبة في مواقف العمل المختلفة من أجل قيام الأفراد بمهامهم المهنية أحسن قيام و في أقل وقت ممكن " .[17]

ويتشكل المنهاج التعليمي الذي يتلقونه من أهداف وبرامج وطرق للتدريس وتقويم لكل ما يتلقوته.[18]

لكن التكوين الذي يتلقاه الأئمة في المعاهد الدينية لتكوين الإطارات الدينية تسجل عليه بعض الملاحظات نجملها في النقاط الآتية:

ــ المستوى العلمي المطلوب للتكوين: خريجو المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية والذين يوجهون للقيام بمهمة الخطاب المسجدي يلتحقون بمستوى علمي ودراسي ضئيل (الثالثة ثانوي)، وهذا المستوى العلمي قليل إذا ما نظرنا لصعوبة المهمة المنتظرة منه وهي تقديم خطاب لجمهور كبير ومتباين ومتنوع و الجمهور المسجدي من أصعب الجماهير .

ــ مدة الدراسة: عامين، هي مدة دراسية غير كافية تماما لتحصيل المهارات والمعارف المطلوبة لأداء رسالة الإمامة، التي تتطلب تكوينا متكاملا في مجالات عديدة شرعية، دعوية، اتصالية، نفسية، اجتماعية، علمية ... الخ، ومدة عامين لا تكفي لتحصيل العلوم الشرعية لوحدها، فضلا عن إضافة مواد لغوية واجتماعية...الخ مما يجعل الإطار الديني متواضع المعارف والمهارات، فلا يستطيع إنتاج خطاب في مستوى الرسالة الشاملة للمسجد، خطاب يستطيع مد الجمهور المسجدي بالشحنات الإيمانية التي تجدد إيمانه وتجعل الإسلام حيا في فكره و سلوكه، والخطاب الفعال يعيد المسجد لأداء أدواره المطلوبة منه، في ظل ما يعيشه المسلم المعاصر في حضارة مادية، وحملات التشويه التي تتجه إلى كل مقدساته من دين وتاريخ وانتماء ووطن ...الخ.[19]

أما خريجو المؤسسات الجامعية الإسلامية والذين يوظفون لرسالة الإمامة أيضا برتبة إمام أستاذ، فيسجل على تكوينهم وجود الفجوة بين مختلف التخصصات في مجال العلوم الإسلامية، حيث نجد خريجها ضعيفا في مواد شرعية يهملها تخصصه، فخريج تخصص "الدعوة والإعلام" لا يعرف الفقه وأصوله، والحديث وعلومه، وخريج الفقه لا يعرف أسلوب الدعوة ومناهجها ... الخ، إضافة إلى غياب مواد هامة لأداء رسالة الإمامة تعد بمثابة الأدوات كأسلوب الخطابة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وطرق الإقناع والاتصال والتأثير ... الخ، فالجامعة تخرج إطارات بمعارف ومعلومات تفتقر لأدوات التبليغ والإرشاد والوعظ، والتكوين المستمر الذي يتلقاه الخطباء بعد التحاقهم بمراكز عملهم يعمل على القضاء على هذه الثغرات، كما أن وزارة الشؤون الدينية تخضع الخطباء للتكوين بعد اجتيازهم مسابقات التوظيف لرسالة الإمامة.

وحبذا لو يختار أغلب الخطباء من خريجي المؤسسات الجامعية الإسلامية، ولا يرسلون إلى المساجد إلا بعد إخضاعهم لتكوين معمق قصير المدى يتلقون فيه نظرة شاملة لطبيعة رسالة المسجد، والوظائف المنتظرة منهم، وتزويدهم بطريقة وأسلوب العمل المسجدي، وتمكينهم من المهارات والأدوات التي بواسطتها يبلغون حقائق الدين الإسلامي المتعلقة بالعقيدة والعبادات والمعاملات، وأن تجلب لهم خلال هذا التكوين قصير المدى أساتذة من أصحاب الكفاءات العلمية العالية في مجال تخصصهم المعرفي والعلمي، وفي تمكنهم من طرق التدريس التي تزرع وتنمي فيهم قدرات الاعتماد على النفس، وتولد فيهم روح الإبداع والتجديد.

- حبذا لو تتعاقد وزارة الشؤون الدينية مع المؤسسات الجامعية الإسلامية لفتح تخصصات (أقسام الدعوة) تستقبل الطلبة الراغبين في التكوين للالتحاق برسالة الإمامة والإرشاد (المرشدات الدينيات) على أن يتم انتقاء هؤلاء الطلبة وفق معايير أخلاقية وعلمية ... الخ، ويتم تكوينهم وفق منهج خاص لمدة كافية، وتراعي الجامعة

في وضع برامج هذه التخصصات طبيعة قطاع الشؤون الدينية، والمعارف والمهارات الضرورية التي يجب أن تزود بها هذا الإطار، ويجب التأكيد على ضرورة معرفتهم لأساليب الدعوة وطرق الاتصال والإقناع والتأثير، ومعرفة الجمهور ونفسياته وتركيبته وخصائصه، إضافة إلى معرفة طرق الخطابة والعلوم الشرعية.[20]

– من الواجب أن يشمل إعداد الخطباء وتكوينهم الجوانب المختلفة لشخصية المسلم البدنية والعقلية والروحية والسلوكية والعلمية والثقافية.

– لا بد من جعل المناهج التي يتلقاها الأئمة مستوعبة للدراسات النفسية والاجتماعية وللمذاهب الفكرية السائدة.[21]

– ضرورة الاعتناء بالإعداد الروحي من قراءة مستمرة للقرآن الكريم، وللأذكار المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقيام الليل، لأنها تمد القائم بالخطاب بحسن الخلق، وتمده بالطاقة التي تجعله يقبل على العمل الدعوي دون كلل أو ملل.

– وضع برنامج طويل المدى لجعل الأئمة الخطباء كلهم من خريجي المؤسسات الجامعية الإسلامية، وتوجيه خريجي المعاهد الإسلامية لتكوين الإطارات الدينية لتعليم القرآن الكريم وترتيله ولأداء الصلوات الخمس، ولا بد من إتاحة فرصة التكوين بهذه المعاهد للمؤذنين والقيمين ،خاصة و أن كل هؤلاء (الإمام المعلم، ومعلمي القرآن الكريم ،و المؤذنين) يقومون باستخلاف الأئمة في أحيان كثيرة، كل ذلك لرفع مستوى الخطاب المسجدي وبالتالي ضمان فعالية المسجد.

3 – ضرورة العناية بالتكوين المستمر للخطباء:

ما من داعية أو عالم أو صاحب رسالة يتكون مرة واحدة في حياته، ثم يقول: لقد امتلكت المعارف والأدوات فيقلع عن المطالعة والعمل الدائم لتطوير نفسه، ومدها بالمهارات والمعارف باستمرار.

القائم بالخطاب المسجدي له جمهور عريض صعب، مما يتطلب منه مراجعة نفسه باستمرار، ومراجعة معارفه وتطوير مهاراته، فالتكوين والإعداد غير مرتبط فقط بمرحلة الدراسة، بل يستمر مدى الحياة كي لا يبقى راكد المعلومات والمهارات فيتجاوزه الزمن لذا على الخطباء أن:

– يواصلوا تكوينهم الدائم من خلال الانتداب بالمعاهد والجامعات، ومن خلال الندوات والتربصات المختلفة، داخل الوطن وخارجه، بالإضافة إلى الندوات التربوية التكوينية والملتقيات، والأيام الدراسية المختلفة، وبغير هذا فلن يستطيع الخطباء مواكبة التطورات الكبيرة والسريعة الحاصلة في المجتمع وفي العالم، ويجد الخطيب نفسه أقل علما وتجربة، وأعجز عن التأثير في الجمهور الذي يخاطبه، وربما نظر إليه البعض على أنه شخص متخلف، أو أقل شأنا من أن يستمع له.[22]

إن مثل هذه اللقاءات والفضاءات تجدد العهد عند الأئمة برسالتهم وتطور معلوماتهم، وتصحح الأخطاء التي يقعون فيها، كما يرجى من الوزارة الوصية ومن مديريات الشؤون الدينية المبادرة الدائمة بعقد ملتقيات وطنية ودولية، لتكون مجالا يستفيد منه الخطباء ويخرجهم من الروتين والرتابة التي قد يتعودون عليها، وفرصة للقاء العلماء والشخصيات الدعوية التي تساعدهم في حل أهم المشاكل التي تعترضهم أثناء أداء رسالتهم، وتعينهم كذلك على رسم الأهداف والغايات التي يجب أن يسعوا لتحقيقها من خلال خطابهم.

– على الوزارة الوصية ومديريات الشؤون الدينية أن تعمل على بقاء التحصيل والرقي العلمي مستمر لدى الأئمة بعد تخرجهم وذلك بتطوير أساليب التكوين المستمر.[23]

– ينبغي تكثيف الدورات التأهيلية للخطباء وأن يشمل جزء منها على التبصر بالواقع الذي يحيط بالخطيب ويعيش فيه، لتكون خطاباته واقعية تعالج ما يعانيه الناس ويلتمسون حلولا له.[24]

– الإكثار من المحاضرات الموجهة للخطباء، وكذا التربصات، وفتح المجال للاستفادة من تجارب علماء وخبراء عبر العالم العربي والإسلامي من خلال الزيارات والندوات والاتصال عبر وسائل الاتصال العصرية.[25]

– ما دام التكوين المستمر إجباري، و تخصص له الوزارة الوصية مبالغ مالية، فهي تعول عليه لرفع مستوى الخطباء فلا يركز التكوين على تعريف الخطباء بجوانب الإنسان وحياته العقلية والنفسية والروحية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية، ولابد أن يراعي المحيط الذي يعيش فيه الخطيب سواء المحيط الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي.[26]

إن التكوين المستمر هو الفضاء الذي يضمن التلاقي بين الخطباء لتبادل الخبرات ، و تجديد المعارف ، لذا لا بد من التركيز عليه و التعويل عليه لرفع مستوى الخطباء، و تجديد معارفهم و ثقتهم بأنفسهم من خلال التشجيع الدائم لهم على أداء رسالة الدعوة إلى الإسلام في كل المواقف والتجمعات، ولا بد أن تعمق المعارف للخطباء من خلال هذا التكوين حين يركز على دراسات الجمهور وطرق التأثير، وأساليب الإقناع،و علم النفس الذي يفهم بواسطته سلوك الناس وأحوالهم.

وحبذا لو يدعى إلى التكوين المستمر الذي يقدم للأئمة كباء العلماء والباحثين، ليفيدوا الخطباء ويرفعوا مهاراتهم ومعارفهم ليؤدوا عملهم على أحسن الوجوه، ويحبذ فيه كذلك تنويع أساليبه ومواضيعه، فيأتي على شكل حوار أو درس أو شريط فيديو يتابع جماعيا من طرف الخطباء، أو محاضرة أو ملتقى...الخ، كل ذلك لإبعاده عن الرتابة والروتين وليكون نافعا أكثر ومفيدا لكل القائمين بالخطاب المسجدي.

التكوين المستمر ليس ما تقدمه الوزارة الوصية أو مديريات الشؤون الدينية فقط، بل يجب أن يقوم به الخطيب اتجاه نفسه، ليطورها بالمطالعة والاطلاع على مناهج أكبر الدعاة في الدعوة والتبليغ و التعامل مع الناس، ويعمل على الاتصال

بالعلماء والدعاة ما دامت وسائل الاتصال متاحة للجميع، كما عليه أن يكوّن نفسه من الناحية الروحية لأنها عمل فردي أو شخصي، بالقراءة المستمرة للقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وقيام الليل و قراءة الأذكار ليتزود بالطاقة الروحية التي تساعده على أداء واجبه الرسالي على أكمل وجه، كما عليه أن يقرأ سير الصحابة والتابعين والعلماء، لأنها تجعل الإنسان يرتقي في همته و سلوكه وتزرع فيه روح المبادرة والتضحية وحب العطاء وعلو الهمة..الخ .

4 – التدريب الدائم وتطوير النفس:

يخاطب المسلم من كل مكان من الانترنيت والتلفزيون، والإذاعة، والسينما، والمجلات...الخ، هذه الوسائل الإعلامية التي تتفنن في اختيار كل ما يؤثر في الجماهير من كلمة، وصورة، وألوان...الخ، لتؤثر في فكر وعقلية وسلوك الجمهور ليتبع ما تقول وتروّج، والقائمون على وسائل الإعلام يسعون باستمرار لتطوير أنفسهم، واكتساب الكثير من المعارف والمهارات الجديدة المهمة في مجال عملهم لينجحوا في جلب الجماهير والتأثير فيها.

يقوم خطباء المساجد بعملية اتصالية هامة بالنظر إلى قداسة رسالتهم، وتنوع جمهورهم وصعوبته، مما يتطلب منهم السعي الدائم لاكتساب المهارات والمعارف الجديدة، وتجديد ما سبق لهم معرفته، وذلك بالمطالعة الدائمة، والتعامل مع وسائل الاتصال العصرية، والتدرب العملي على طرق تقديم الخطاب، والتدريس والحوار والمناقشة والتعامل مع الناس، وحبذا لو أن مديريات الشؤون الدينية تتنبه لكل ذلك فتبرمجه في ندوات التكوين المستمر تحت إشراف مختصين و باحثين ومشايخ مجربين أكفاء.

وإذا كان الخطاب المسجدي يراعي المناسبات الدينية والوطنية والعالمية، فالخطيب مجبر على إعادة الحديث في مواضيع عديدة تتطلبها عودة المناسبات، فهو مجبر على البحث والمطالعة من أجل التجديد في طرق المعالجة وزوايا النظر،كي لا يقع في فخ الاجترار والتكرار والروتين، وكي لا يمله الجمهور ويحتقروا معارفه، ولا سبيل إلى التجديد إلا بالمطالعة الدائمة وقراءة الحديث النبوي الشريف والاستماع لمحاضرات العلماء وتأمل واقع الجمهور والمجالات التي يحتاجون التوجيه أو الإشادة بحسن تصرفهم فيها...الخ

لابد للخطيب من اختيار المواضيع التي تهم الجمهور، وأن يراعي وحدة الموضوع فيها، وأن لا يكرر الخطب، بل يتناول المواضيع كل مرة من زاوية، وأن يغير في الخطبة الثانية، بأن لا يلتزم صيغة واحدة، وأن يستفيد من المناسبات الإسلامية، بشرط أن لا يحفظ الكلام، وأن يبيّن العبر والدروس من هذه المناسبة .[27]

5 – ضرورة توسيع ثقافة الخطباء النفسية والاجتماعية:

الثقافة النفسية ضرورية وهامة للقائمين بالخطاب المسجدي، خاصة وأنهم يقومون بالاتصال المباشر، حيث يمكنهم فهم نفسيات جمهورهم وظروفه ونقاط قوته وضعفه، وفهم مشاكلهم فإذا أحسن معرفة كل ذلك أمكنه التأثير فيهم، وأمكنه معرفة نقطة البداية ونقطة الوصول مع هذا الجمهور.

إن الثقافة النفسية هي التي تؤهل القائم بالخطاب لفهم جمهوره من نظراته ومن تصرفاته، وهذا ما جعل أحد العلماء يقول لمن سأله: "هل للقاتل من توبة؟" قال: "لا"، ويجيب آخر عن السؤال نفسه بـ"نعم".

كما أن المعرفة الاجتماعية للجمهور تؤهل القائم بالخطاب لطرح المواضيع التي تهمهم وترشدهم ليجدوا الحلول في خطابه، والتعزية فيما يصيبهم من مصائب ... الخ.

6 – ضرورة اعتناء الخطباء بتحسين جوانبهم العلمية:

لا يعقل أن يظل الخطيب يجتر كلمات تعوّد قولها، ومعلومات امتلكها منذ أيام تكوينه؟ بل الأولى أن يعمل بجدّ ليحسن مستواه العلمي بالمطالعة المستمرة لشتى أنواع الكتب، والإطلاع على وسائل الإعلام المختلفة ليمتلك المعلومة الجديدة، وليعرف ما يجري حوله سواء في بلده أو في عالمه الإسلامي، أو عالمه الإنساني ليكون ابن عصره وابن زمانه، يعرف ما يؤثر في جمهوره، ويطلع على الرسائل التي تتجاذب هذا الجمهور، والظروف النفسية والاجتماعية والأخلاقية التي يعيشها، لذا يجدر بالخطيب النظر حوله، والنظر في وسائل الإعلام وفي الكتب وفي مجتمعه لمعرفة:

– نفسيات وطبيعة الجمهور الذي يخاطبه حتى يقف منهم موقف المعلم الحاذق، ويعرف كيف يوجههم إلى عمل أو يردّهم عن آخر بما له من كياسة ودراية بتربية الغرائز ومعالجة الميول الجامحة.[28]

– ضرورة اجتهاد الخطباء ودأبهم عن القراءة، وأن يقرأ الخطيب أكثر من تفسير للقرآن الكريم، وأن يطلع على الكتب الدينية والمقالات الصحفية التي تتعرض للشؤون الدينية، وبغير هذا الإطلاع يصير الخطيب كالماء الآسن يعيد نفسه، ويمل الناس سماعه، والخطباء السياسيون تتجدد موضوعاتهم تلقائيا، أما خطيب المسجد فهو المسؤول عن اختيار موضوعه كما هو مسؤول عن طريقة إعداده ومعالجته.[29]

– ضرورة انتباه الخطباء ووعيهم بمميزات المرحلة الحالية، لأن الناس يعيشون الفراغ الروحي الواسع الذي تعيشه الجماهير نحو المعلومة الدينية، وأن الناس بدؤوا يسأمون أكثر فأكثر الفكر المادي، وعلى الخطباء في المساجد أن يقدموا الغذاء الروحي ويسدوا الفراغ الحاصل في عالم الروح، وقد نشط في هذا المجال رجال الديانات الأخرى، مع أن الإسلام أغنى وأفيد وأقنع.[30]

– تعلم الثقافة الحديثة خصوصا درس علم النفس وما يحتاج إليه الخطيب الحديث لتجديد خطبته وجعلها ذات مساس بقلوب سامعيه.[31]

– ضرورة استفادة الخطباء من الوسائل العلمية الحديثة لتحصيل العلم ورفع مستواه.[32]

– لا بد من معرفة الخطباء لقواعد الشريعة، وأن يعرفوا كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ليبيّنوا للناس الهوية الإسلامية المعاصرة ويقدموا الدروس والمواعظ والإرشاد والندوات العلمية، وليحلوا للناس مشاكلهم الاجتماعية ويوجهون المجتمع.[33]

7 – الاعتناء بالتحضير الجيد للخطاب:

التحضير المبني على إعمال الفكر، والتذكر واختيار الكلمات المناسبة والمواضيع المناسبة كذلك، والاستنتاج وتوليد الأفكار وتدوينها، واكتساب مهارة القراءة المفيدة.[34] ذلك أنه من الخطباء من لا يحضّر خطابه أصلا، فيكتفي باعتلاء المنبر وقول كل ما تذكره من المواعظ، ومنهم من يحضّر بعجلة لحظات فقط قبل تقديم الخطاب، لكن الأنسب أن يحضر الخطيب تحضيرا جيدا، يؤدي به إلى حسن اختيار الموضوع وحسن تقديمه للسامعين، ليكون مؤثرا ومفيدا.

8– توعية الخطباء بالأهمية الكبيرة لمنبر المسجد في الدعوة :

المسجد هو المصدر الأساسي لتبليغ مبادئ الإسلام للجمهور المسلم، فهو مصدر أساسي لتلقي الثقافة الإسلامية لكثير من فئات المجتمع، فليس كل الأفراد يتابعون البرامج الدينية المقدمة في القنوات الفضائية، وليس كل أفراد الجمهور المسجدي يطالعون الكتب ويقرؤون القرآن الكريم، إذ أن منهم الأميون، لذا مازال المسجد وسيظل منبعا أساسيا في حياة المسلم يجدد فيه إيمانه ويذكره بتعاليم الإسلام ومبادئه ويأخذ منه ثقافته الدينية.

9: القضاء على العجز المسجل في الإطارات الدينية

من الأسباب الهامة لضعف الخطاب المسجدي العجز في الإطارات الدينية المؤهلة لتقديم الخطاب في المساجد، حيث نجد مساجد كثيرة يخطب فيها معلمي القرآن الكريم، وهم لم يعدوا أصلا لهذه المهمة بل لتحفيظ القرآن الكريم أو للصلاة بالناس الصلوات الخمس، وللنهوض بالخطاب المقدم في المساجد فلا بدّ من مدها بالإطارات المؤهلة لذلك، ولا بد من تزويد المساجد بطاقم بشري متكامل من إمام خطيب ومرشدة دينية وإمام للصلوات الخمس ومعلم للقرآن الكريم ومؤذن وقيمّ، ذلك أن المسجد مؤسسة دينية كبيرة لا يجب أن يسودها العمل الفردي، بل يجب أن تتضافر فيها جهود فريق متكامل يعملون جميعا من أجل تفعيل دور المسجد و إعادته ليكون محور الحياة في المجتمع منه ينطلقون و إليه يعودون.

إن العمل الجماعي يعمل على تقسيم الأدوار، والتعاون، ودراسة النقائص والمشكلات، ويقلل من التعب وكثرة الأعباء والمهام الملقاة على الأئمة، فهم يحضرون جلسات الصلح والأفراح والجنائز...الخ وعملهم كفريق يساعدهم على تقسيم الأدوار، وضمان استمرار الأعمال المسجدية دون انقطاع. كما أن العمل الجماعي في المسجد يبعد عن الملل والكلل، لذا لا بد من إبعاد المسجد عن العمل الفردي وتزويده بالإطارات الكافية ليعملوا في إطار طاقم متكامل يكمل بعضه بعضا، ويهدف الجميع إلى خدمة بيوت الله و الدعوة لمبادئ الإسلام و عقيدته.

لذا لا بدّ من القضاء على العجز المسجل في الإطارات الدينية الواجب تواجدها في المسجد، ذلك أن المسجد مؤسسة دينية كبيرة لا يجب أن يسودها العمل الفردي، بل يجب أن تتضافر فيها جهود فريق متكامل من إمام خطيب و مرشدة و إمام الصلوات الخمس ومعلم القرآن الكريم...الخ

10: ضرورة الاهتمام بمعرفة نوعية المخاطبين

الإنسان إذا لم يعرف من يخاطب قد يخطب خطبة عشواء، وقد يستهين فلا يحضّر، ولا يكلف نفسه عناء تطوير معارفه ومداركه ومهاراته، فيقول كل ما يريد قوله، وهو يظن أنه وحده العالم ووحده العارف، وما على السامعين إلا السمع والطاعة؟ لكن الواقع عكس ذلك فالجمهور المسجدي جمهور صعب لأنه متنوع ولأنه كبير ولأنه متباين، فيه الغني والفقير، والعالم والجاهل، والمتعلم والأمي، والمطيع والعاصي والضال والمستقيم، فيه الكبير والصغير والمرأة والرجل، فيه المتواضع والمتكبر والمغرور ...الخ أفيستهان بهذا الجمهور؟ وهل من سلامة الفكر أن يؤتى إليه بلا تحضير جيد وبلا استعداد، كل هذا الجمهور ينتظر ما سيقوله الخطيب، الكل يريد أن تمسّ كلمات الخطيب عقله وروحه وكأنها تتوجه لكل واحد في هذا الجمهور لتأخذ بيديه إلى الطريق الصحيح، ألا يتطلب هذا الجمهور التفكير العميق والعميق جدا من الخطباء لاختيار مواضيع تهمّ كل هؤلاء، وتؤثر فيهم، وتعطيهم شحنات إيمانية تعدّل فكرهم وسلوكهم وباطنهم وعلانيتهم.

إذا أراد القائمون بالخطاب المسجدي النجاح في إيصال رسائلهم إلى جماهيرهم فليكفوا عن الاستهانة بهذا الجمهور وليعرفوه على حقيقته، وليعملوا بجد كي لا يخيبوا أمله فيهم، كي لا يدفعوه للحضور إلى المسجد وكأنه مجبر على الحضور فقط ولأنه يفترض عليهم الحضور، بل يجب أن يشدهم الخطاب شوقا إليه، ليجدوا فيه الأمان والتوجيه ويأخذ بيد كل واحد منهم ليستقيم في علاقته مع الله تعالى، ولينجح مع في علاقته مع نفسه ومجتمعه...الخ.

ولا بدّ للخطباء كذلك من معرفة رجع الصدى، أي أثر وانطباع الجمهور حول الرسائل المقدمة إليه من طرف الخطيب، أي أن يحاولوا معرفة ردات فعل الجمهور

اتجاه ما يقدمونه له، وعليهم أن يعرفوا كذلك مدى وصول رسائلهم لهذا الجمهور، ومدى تبليغهم ليفهم الجمهور ما أرادوا قوله له بطريقة صحيحة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل الناس إذا ما وعوا وفهموا عنه؟ فيقول: "ألا هل بلغت؟" فيجيبون: "بلى يا رسول الله"، وكان لا يواصل حديثه حتى يسمع إجابتهم فيقول: "اللهم فاشهد"،[35] إلا أن الخطاب الإسلامي الحديث ما زال لم يعط هذه المسألة حقها (رجع الصدى) وبقي الأمر متروكا للصدف، ففي الغالب يلقي الخطيب خطابه ولا يهتم بمعرفة نتيجة خطابه أو موقف الجمهور من هذا الخطاب .

11: ضرورة التخطيط ووضع برامج للخطاب والعناية بالآذان وتنويع وسائل الخطاب

1_ التخطيط للخطاب:

التخطيط فن حيادي وأسلوب في العمل[36] والملاحظ للخطاب المقدم في المسجد يجد أن فئة من الخطباء يخبطون خبطة عشواء، سواء في اختيار المواضيع، أو بسوء عرضها أو بعدم التحضير الجيد، أو بعدم التحضير أصلا، والاكتفاء باعتلاء المنابر وتقديم مواعظ عامة فيها الأوامر والنواهي عن كل ما تذكره الخطيب من طاعات ومعاصي، فيخرج الجمهور وليس في قلبه شيء ممّا قُدّم، لأن الموضوع لم يكن محددا، ومن الخطباء من يختار موضوعه بلحظات قليلة قبل موعد تقديمه، كل ذلك أدى بالخطاب إلى التدهور وإلى استهانة الجماهير بالخطباء وبما يقدمونه.

إذا أراد القائمون بالخطاب المسجدي أن يكون خطابهم فعّالا ومؤثرا فلا بد أن يسطروا له أهدافا واضحة ومحددة في أذهانهم مسبقا يستطيعون على ضوئها تقييم ما تمّ تحقيقه، ويعيدوا رسم الخطط للنجاح فيما تعثروا فيه .

إن الأولى أن يكون هناك تخطيط من قبل كل خطيب، تخطيط سنوي، وتخطيط شهري وتخطيط إسبوعي، تخطيط تحدد من خلاله الغايات، وتدرس فيه الطرق والوسائل، وتناقش فيه المنجزات وكيفية الحفاظ عليها، وتفكير في الصعوبات وسبل تذليلها، أما السير العشوائي، بلا أهداف وبلا غايات ودوافع، وبلا برامج، وهذا حال أغلب الخطباء، وحال أغلب المساجد، فلن يوصل الخطاب المسجدي إلا إلى ما وصل إليه.

فحري بالخطباء أن تكون لديهم أهدافا وبرامجا يسعون لتحقيقها مع الجماهير المسجدية المتعطشة للخطاب الديني الحي الحركي، الذي يمس واقعهم ومشاكلهم و واقعهم، فإذا ما أخفقوا في تحقيق كل الأهداف فلن يفوتهم تحقيق بعضها.

وقد اقترح صاحب كتاب أدب الخطيب وضع برنامج شهري في كل مسجد، ويعلق على الباب، ويبين للناس على الأقل موضوع خطبة الجمعة القادمة، ومدتها، ليكون المصلي على بيّنة، ويجعل الخطبة الثانية مطلقة يتكلم فيها عما يجدّ بعد إعلان موضوع الخطبة الأولى ويجعلها موعظة عملية.[37]

ومن علامات التخطيط كذلك المنهجية في العمل، حيث يكون البدء بإصلاح الأفراد أولا، ثم التكلم عن إصلاح الأسر والبيوت، ثم البحث عن الإصلاح العام ...[38]

وحري كذلك بمديريات الشؤون الدينية والمفتشين مساعدة الخطباء في رسم الغايات، وتحديد الأهداف، والتخطيط لإنجاح رسالة المسجد.

إن غياب التخطيط و المراجعة والتقويم كانت له مضاعفات خطيرة تتمثل في تكريس الرداءة الفكرية، وتكريس الرداءة على مستوى الأداء وفقه الانجاز، و تكريس ظاهرة الاستئناف أو البداية الصفرية المزمنة في الجهد البنائي للأمة.[39]

2ـ ضرورة العناية بالآذان:

بما أن الآذان خطاب ينطلق من المسجد خمس مرات في اليوم، مؤكدا على التوحيد، ووجوب المسارعة للصلاة التي هي عماد الدين، وينادي كذلك إلى فلاح المسلم من خلال أداء واجباته التعبدية، و هو يذكر المؤمن و الغافل بالإسلام و بالصلاة، و لذا كلما تم تأديته بطريقة موحية بمعانيه كلما تحققت الثمرات المرجوة منه.

يؤدي الآذان في أغلب الأحيان متطوعون يؤدونه ببعض الأخطاء، أو بطريقة غير مؤثرة وغير موحية بمعانيه، لذا لا بد من إعداد المؤذنين الذين يتمكنون من أدائه بطريقة صحيحة، تتناسب وهذه المهمة العظيمة التي شرف بها النبي على الله عليه وسلم بلالا لصوته الجميل وأدائه المميز، وقد بدأت وزارة الشؤون الدينية في إعداد المؤذنين وتخرجت أول دفعة في جوان 2013، فلا بد من تعميم هذا الإجراء ليكون في كل مسجد مؤذنا مكونا تكوينا صحيحا يؤهله لذلك، لأنه في بعض المساجد يؤدى بطريقة مزعجة للسامعين لا تراعى قدسيته، ويجب أن يختار المؤذنون من:

- أهل الصلاح والتقوى والسلوك الحسن.
- أن يكونوا على علم ومعرفة بأحكام الآذان وآدابه وألفاظه حتى لا يقع في تغيير بعض الألفاظ التي قد تغير المعنى وتصرفه إلى معنى آخر، وكي لا يزيد فيه ما يخرجه عن المألوف في الآذان الشرعي.
- أن يكون حسن الصوت مؤثرا بنغماته على القلوب.[40]

3ـ تنويع وسائل وطرق الخطاب:

منذ زمن بعيد غلب على الخطاب المسجدي طابع الرتابة والروتين، والتكرار، فهناك خطبة، وهناك دروس، ولا شيء غيرهما، وهناك خطيب ألفه الناس وعرفوا مستواه، وأسلوب خطابه، وحفظوا مواضيعه، وهم يتوجهون للمساجد لأنه فرض عليهم حضور الجمعة والأعياد.

إذا أريد للخطاب المسجدي أن يتحرك، ويؤثر ويجلب اهتمام الجمهور، وإذا أريد للمساجد أن تدب فيها الحياة من جديد، فتكون نقطة انطلاق كما كانت، وقدوة فلا بد من التنويع في وسائل الخطاب، وفي القائمين بالخطاب، وفي زمن تقديم الخطاب، بإقامة حوارات مفتوحة أحيانا، وعرض لأشرطة فيديو، ودعوة لعلماء وأساتذة كبار، ولابد من عقد الندوات والملتقيات بالمساجد، وتخصيص أوقات للأطفال، وتفعيل العمل المسجدي الموجه للمرأة المسلمة التي تعمل وسائل الإعلام على تغيير فكرها ولباسها وسلوكها وأسلوب حياتها، وكذلك يفعلون مع الشباب .

12: توفير الحماية والحرية للأئمة ومراجعة المنظومة القانونية التي تحكم الإمام.

1_ ضمان حرية الإمام:

لا بد أن يؤدي القائمون بالخطاب المسجدي رسالتهم في جو من الحرية، يفكرون ويبدعون ويعملون على إصلاح كل ما يرونه عوجا وفقا لما تمليه الشريعة الإسلامية من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ويربون أفراد المجتمع، ويذكرونهم وقد قال تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الذاريات: 55]

لكن إذا سلب القائم بالخطاب حريته وتُوُعد بشتى أنواع العقاب، وإذا عرف أنه مترصد، وأن أصابع الاتهام موجهة إليه في كل قضية، وأن هناك خطوطا حمراء يجب أن لا يتعداها وإلا تعرض للمساءلة أو العقاب، وإذا فرضت عليه رسائل هو غير مقتنع بها ليقنع بها الجمهور، وإلى لقاء الجماهير بمواضيع بعيدة عن واقعهم الذي يريدون رأي الخطيب ونصائحه فيه، وسيقدم مواضيع لا تمس الزمن الذي يعيشونه، ولا الاهتمامات التي تشغلهم، وبذلك يكون خطاب المسجد بعيدا عن واقع الناس وبعيدا عن مجريات الأحداث، فلا يكون خطابا مؤثرا أو مهما، وستبقى الجماهير تنتظر من

الخطباء مواضيع فيقابلونها بمواضيع أخرى، فتتسع الهوة بين الخطباء وجماهيرهم، ويعيدونها في كل مرة إلى الماضي والماضي البعيد، ويمجدون ذلك الماضي ويبكون عليه مرارا، ويتمنون عودته، ويظل الحاضر غائبا عن خطابهم وكأنهم لا يعيشونه، والأصح أنهم ربما منعوا وربما خوفوا من الخوض فيه، ويتسرب الملل إلى خطاب المساجد وتغلب عليه الرتابة ويضجر الناس منه ويتحول الخطيب إلى إنسان غير معاصر وربما سمعه الناس ولسان حالهم يقول: "خطبت فكنت خطبا لا خطيبا". [41]

كي يتم النهوض بالخطاب المسجدي يجب أن لا تسلب حرية الخطباء، وأن لا يجبروا على قول أشياء لا يريدون قولها، ولتظل مهمتهم الأساسية الدعوة لعقيدة الإسلام و مبادئه و تربية المجتمع على هذه القيم و المبادئ، وليظلوا عنصر رقابة على الأفراد والمجتمع يمنعونه من الانحراف والرذيلة، فهم بمثابة صمام الأمان في المجتمع ينتفضون كلما حدث خرق للقيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية، فلتعطى لهم الحرية التامة ليؤدوا رسالتهم، ولترفع عنهم كل العقوبات، وأصابع الاتهام في كثير من القضايا.

2_ فتح المساجد أمام العلماء والأساتذة للمشاركة في تفعيل دور المسجد:

لابأس إن فتحت المساجد أمام العلماء و الأساتذة المشهود لهم بالعلم والأخلاق وعدم الانتماء السياسي والحزبي ليشاركوا في تأطير المساجد، من أجل تفعيل دور المسجد، ولكي ينفعوا المجتمع بعلمهم خاصة إن كانوا من خريجي المؤسسات الجامعية الإسلامية، وذلك وفق التنظيم الجاري به العمل بأخذ ترخيص من المجلس العلمي بمديرية الشؤون الدينية، ولا بد من رفع العراقيل أمامهم لأن الأمة تحتاج إلى علمهم، والمساجد بحاجتهم لتؤدي رسالتها، ولا نقصد تمكينهم من إلقاء الدروس والخطب فحسب، بل المساهمة في عقد الندوات والملتقيات والأيام الدراسية بالمساجد.

خاتمة: هذه بعض الإجراءات و الملاحظات التي من شأنها رفع مستوى الخطاب و تحسينه، و بالتالي تفعيل رسالة و دور المسجد في المجتمع و في حياة المسلم، لا يمكننا الجزم أن الحل يكمن في هذه الإجراءات فحسب، لكننا نؤكد أن البحث في هذا الموضوع يستحق مزيدا من الاهتمام من أجل الوصول إلى إيجاد الطرق التي من شأنها إحياء رسالة المسجد ليكون حاضرا بقوة في حياة المسلم، و يمكننا القول أن وجود إمام فعال في المسجد يساهم بشكل كبير في تفعيل المسجد.

[1]- عبد الله قاسم الوشلي، المسجد و نشاطه الاجتماعي، مؤسسة الكتاب ، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص: 309.

[2]- محمد سيد محمد: المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986، ص: 14.

[3]- الطيب برغوث: التغيير الإسلامي: خصائصه وضوابطه، مكتبة رحاب، الجزائر، د ت، د ط، ص: 24.

[4]- فهيمة بن عثمان، نمط تكوين الأئمة في الجزائر، رسالة ماجيستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الاجتماعية و الإسلامية، قسم أصول الدين، 2004_ 2005، ، ص: 218-219.

[5]- أحمد محمد هليل: نحو تجديد الخطاب الإسلامي، دار الفرقان، المملكة الأردنية، ط1، 2007، ص: 26.

[6]- المرجع نفسه، ، ص: 27.

[7]- المرجع نفسه، ص: 27.

[8]- لحسن بوعبد الله وغيره: تقويم العملية التكوينية بالجامعة، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، الجزائر، 1984، ص: 73.

[9]- محمد أبو زهرة: الخطابة، مكتبة العروبة، الكويت، د ت، د ط، ص: 15.

[10]- نور الدين جفافلة: الأبعاد الإعلامية والاجتماعية للجمعة، رسالة ماجستير، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1999، ص: 371.

[11]- أحمد محمد هليل، مرجع سابق، ص: 29.

[12]- عبد الله الوشلي، المسجد و نشاطه الاجتماعي،بيروت ،لبنان،مؤسسة الرسالة، ط1، 1990 ص: 320.

[13]- محمد الغزالي، ليس من الإسلام، دمشق، سوريا ، دار القلم ، ط1، 1999 ،ص: 19

[14]- أمينة أحمد حسن: دور المؤسسات التربوية في إعداد الداعية، بحوث مؤتمر دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة، دار الثقافة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، القسم الأول، الرياض، 1409هـ/1988م، ص: 278.

[15]- عبد الله الوشلي، مرجع سابق، ص: 312.

[16]- عبد الفتاح عبد الله بركة: خطة مقترحة لتكوين الداعية، المفتي، المتخصص: القسم الأول من بحوث مؤتمر دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة، دار الثقافة للنشر، جامعة محمد بن سعود، الرياض، 1409هـ/1988م ، ص: 112.

[17]- غياث بوفلجة: الأسس النفسية للتكوين و مناهجه، وهران، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1984 ، ص: 05.

[18]- لحسن بوعبد لله وغيره: تقويم العملية التكوينية بالجامعة ، قسنطينة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1998م، ص: 11.

[19]- فهيمة بن عثمان، نمط تكوين الأئمة في الجزائر:دراسة نظرية و ميدانية، مذكرة ماجيستير ،كلية العلوم الاجتماعية و الإسلامية ،قسم الدعوة و الإعلام، جامعة باتنة 2005، ص: 218-219.

[20]- كمال لعريبي: الدور الاقناعي للامام:دراسة وصفية لدور الامام كقائم بالاتصال في ولاية جيجل،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير،قسم الدعوة و الإعلام ،كلية أصول الدين و الشريعة و الحضارة الإسلامية،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة، الجزائر،2005_2006، ص: 302.

[21]- الشريف مرزوق: اتجاهات الأئمة نحو الأساليب التربوية ، رسالة ماجيستير،قسم الدعوة و الاعلامو الاتصال،كلية أصول الدين و الشريعة و الحضارة الاسلامية،قسنطينة،الجزائر،1998_ 1999،، ص: 189.

[22]- كمال لعريبي، مرجع سابق، ص: 131.

[23]- المرجع نفسه، ص: 131.

[24]- عبد الله الوشلي، مرجع سابق، ص: 312.

[25]- الشريف مرزوق، الشريف مرزوق: اتجاهات الأئمة نحو الأساليب التربوية، رسالة ماجستير، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1998-1999، ص: 131.

[26]- المرجع نفسه، ص: 189.

[27]- مصطفى مراد: روضة الخطباء و كيف تكون خطيبا ناجحا، دار الفجر، القاهرة، ط2، 2010، ص: 18

[28]- عبد الجليل عبده شلبي: الخطابة و اعداد الخطيب، القاهرة ،دار الشروق،ط1، 1981، ، ص: 113.

[29]- مرجع نفسه، ص: 113.

[30]- مرجع نفسه، ص: 113.

[31]- المرجع نفسه، ص: 112.

[32]- مرجع نفسه، ص: 320.

[33]- الشريف مرزوق، مرجع سابق، ص: 166.

[34]- عبد الجليل عبده شلبي، مرجع سابق، ص: 112.

[35]- حديث: "ألا هل بلغت..."، رواه البخاري.

[36]- عبد الله عبد الدايم: التخطيط التربوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1965، ص: 11.

[37]- علاء الدين بن إبراهيم بن العقار الدمشقي، أدب الخطيب،ط1، 1996، ص: 191.

[38]- المرجع نفسه، ص: 191.

[39]- الطيب برغوث: موقع المسألة الثقافية من التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، دار الينابيع، الجزائر، ط1، 1993، ص:06.

[40]- عبد الله الوشلي، مرجع سابق، ص: 312

[41]- محمد جميل: مقومات الخطبة الناجحة، الدورة التدريبية لخطباء الجمعة الأفارقة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الدار البيضاء، 1997، ص: 426.